# المحبة الحقيقية للأزواج والذرية

تأليف

أبو عبد الله صادق بن عبد الله

مصدر هذه المادة :








## بسم الله الرحمن الرحيم

## مقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله، فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين وسلم تسليمًا كثيرًا.

**أما بعد:**

فها نحن بين يدي موضوع مهم للغاية يترتب على فهمه ومعرفته نجاة الإنسان وسعادته في الدنيا والدار الآخرة هو وأسرته ومن يعول؛ ولذلك فيجب على كل مرب ومربية، وكل ابن وابنة أن يتفطن لهذا الموضوع الحساس الخطير؛ لأن من فَقُهَ هذا الموضوع وعمل بمقتضاه سعد ونجا، ومن قرأه وقلبه عنه غافل لاه لم يستفد منه وكان حجة عليه لا له؛ فكن بارك الله فيك من الذين قال الله تعالى فيهم ممتدحًا إياهم: ﴿**الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ**﴾ [الزمر: ١٨] والذين قال الله تعالى فيهم: ﴿**إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ**﴾ [ق: ٣٧]، هذا الموضوع هو:

### المحبة الحقيقية للأزواج والذرية

الحمد لله الذي زين الدنيا بالأبناء والذرية، وجعل لنا من

أنفسنا أزواجًا لنسكن إليها، وجعل بيننا مودة ورحمة كما قال تعالى: ﴿ **الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا** ﴾ [الكهف: ٤٦].

وقال تعالى: ﴿ **وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ** ﴾ [الروم: ٢١] نعم، فإن مما يتمناه المرء ويحدث به نفسه في هذه الحياة الدنيا أن تكون له أسرة كريمة هو سيدها وقائد مسيرها، يحقق فيها أحلامه وطموحاته، وإن أول ما تتوق إليه نفسه وتنشط له، زوجة حبيبة يسكن إليها وتسكن إليه، تشاطره المسير في هذا الطريق، وتشاركه في تحقيق ما يتمناه ويصبو إليه، فلا يزال يلح على الله تعالى بالدعاء – والله عز وجل يحب العبد الملحاح – أن يرزقه مثل هذه الزوجة، وما أن يستجيب الله دعاءه ويرزقه تلك الزوجة حتى يمني نفسه بأولاد يملؤون عليه حياته، ويبعثون في منزله بإذن الله تعالى الحركة والحيوية؛ كيف لا، وهم زينة الحياة الدنيا؟ كيف لا، وهي من الأمور التي تتوق إليها النفوس وتتطلع إليها القلوب؟ كما قال تعالى: ﴿ **هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ** ﴾ [آل عمران: ٣٨]، فتراه يترقب عن كثب تحقق ذلك الحلم واستجابة ذلك الدعاء، وهو في ذلك قلق حذر يخاف أن يكون من الذين لا ينجبون الأبناء، أو أن تكون زوجته تلك التي أحبها وسكن إليها عاقرًا، وما هي إلا أيام حتى يمن الله عليه بنطفة تتحرك في أحشاء زوجته فيطير فرحًا مسرورًا؛ يلهج بذكر الله وحمده والثناء عليه – وهو أهل الثناء

والمجد — أن تفضل عليه بهذه النعمة، فإذا أثقلت به زوجته عـاوده القلق من جديد على حال هذا المولود، وكيف سـيأتي إلى هـذه الدنيا؟ أيكون سليمًا معافى أم يكون غير ذلك؟ فينزل مشوهًا مثلاً أو معتوهًا والعياذ بالله، وما هي إلا أيام ويطل على منزله ضـيف كريم محبوب كامل الخلقة بهي الطلعة سليم معافى بحمد الله تعـالى، وتقوم زوجته هي الأخرى بصحة جيدة وعافية تامـة؛ عنـدها لا يتمالك العبد منا نفسه إلا أن يتحرك لسانه وقلبه تلقائيًا بالحمـد والشكر للمولى للنعم الكريم المنان الرحيم الرحمن.

لا شك أن هذه الخطرات وتلك الخطوات والمراحل قد مـرت عليك يا من رزقه الله تعالى الزوجة والأولاد. وأنت كذلك يا مـن لم تمر عليك؛ فإنك إن شاء الله تعالى في الطريق إليها.

فإذا سُئلت أيها المربي بعد هذا كله: هل تحب هذه الأسرة بما فيها من أزواج وذرية؟ وأنت أيتها المربية هل تحبين هذه الأسـرة؟ نعم، أنت يا من عانيت المصاعب والمشاق وكابدت المتاعـب في تربيتهم، ولربما عاينت الموت حال ولادهم؛ فهل تحبينهم حقًا؟

إذا سُئل أحد هذا السؤال لضحك المسؤول منه ولتعجب مـن مثل هذا السائل أبعد هذا كله تسألنا عن محبتنا إياهم؟! والله، إنـه لمن المحال أن يُتصور غير ذلك.

ولكن يا أيها المربي، إن هناك سؤالاً يطرح نفسه ويلح علينا أن نجيب عليه؛ ألا وهو: ما هي حقيقة هذه المحبـة؟ إن كـل زعـم ودعوى مجردة عن البراهين تبقى كما هي صورة بلا حقيقة، وقولاً

بلا برهان ولا دليل حتى يقدم الواحد منا الحجج والبراهين العملية، والأدلة الساطعة الدالة على حرصه وصدقه في دعواه وما ذهب إليه؛ كي يعرف الصادق من غيره، وكي يعرف؛ هل أنا من الذين أحبوا أولادهم حقًا أم أنني أحد أولئك الذين خدعهم الشيطان وغـرهم فلم يفقهوا بعدُ معنى المحبة الحقيقية للأزواج والذرية؟.

وإن نجاح الواحد منا في الإجابة عن هذا السؤال يعد هو المعيار والمقياس الحقيقي لتحقيق تلك المحبة؛ فهل يا ترى تكون المحبة مثلاً في تسمين الأولاد وتوفير المآكل والمشارب بأنواعها بين أيـديهم، وإعداد الدور والقصور المشيدة والمراكب الفارهة والمفارش الوثيرة؟ أو هي يا ترى في ملأ الأوقات بكافة أنواع الملـذات والشـهوات والحرص دائمًا على جعل الابتسامة العريضة مرسومة على الوجـوه والقسمات؟ أو هي في مساعدتنا إياهم وحثهم علـى الترقـي في درجات العلم والمناصب والمراتب، حتى ينال الشـهادات العليـا فيتقاضى المرتبات الباهظة، ويتقلد المراكز المرموقة اجتماعيًا؟

فهل حقيقة المحبة تتجلى في تلك الصور أو أنها شيء آخر غير هذا كله؟ هذا ما نحن بصدد التكلم عنه وتوضيحه بما لا يدع مجالاً للالتباس إن شاء الله تعالى؛ وذلك من خلال مناقشة واستحضـار مجموعة من النقاط الهامة والمحاور الأساسية المتعلقة بهذا الموضـوع الحساس الخطير، ولكن لا بد أن نحرص على الصدق مـع أنفسـنا والمواجهة الخالصة من هوى النفوس؛ لنخرج بنتيجة صادقة، ومعيار دقيق، ومفهوم صحيح للمحبة الحقيقية للأزواج والذرية.

فأقول وبالله التوفيق:

**أولاً: ممَ خُلق الإنسان؟**

وذلك بالتأمل في قول الله عز وجل: ﴿**فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ**﴾ [الطارق: ٥]؛ فإن هذا أمر إلهي من العليم الخبير بعباده، الرؤوف الرحيم بهم، العالم بما يصلحهم في حالهم ومعادهم — يوجهه إلى عباده جميعًا — يأمرنا فيه بالنظر في حقيقة الإنسان وخلقه؛ وذلك؛ لأن الحكم على الشيء هو فرع عن معرفته وتصوره، وإن التعامل مع الإنسان لا بد وأن يكون فرعًا عن معرفتنا لحقيقته خلقًا وقدرة وميولاً واتجاهات حتى لا نخطئ في تقدير الأمور، فتنقلب الحقائق وتضل المفاهيم، فنخسر الإنسان.

ولقد وضح الله جل وعلا في محكم التنزيل حقيقة هذا الإنسان؛ فبين سبحانه وتعالى أن الإنسان إنما يتركب من جسد خلقه الله تعالى من التراب من الطين اللازب، وخلق الله تعالى له غذاءه المناسب الذي إن فقده هلك ذلك الجسد بإذن الله تعالى؛ فالله هو خالق الجسد، وخالق السبب الذي يحيى به ذلك الجسد فما هو غذاؤه؟

**غذاء الجسد:**

بما أن الله تعالى قد خلق هذا الجسد من تراب هذه الأرض فقد جعل الله تعالى غذاءه من هذا التراب مما تنبته هذه الأرض؛ كما قال تعالى: ﴿**الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ**

**أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾** [البقرة: ٢٢].

وقال تعالى: ﴿**وَآيَةٌ لَهُمُ الْأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ**﴾ [يس: ٣٣].

وقال تعالى: ﴿**وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ**﴾ [الأنعام: ٩٩].

وكذلك جعل الله للإنسان غذاءً مما يدب على الأرض من أنعام؛ قال تعالى: ﴿**أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ**﴾ [المائدة: ١].

وقال تعالى: ﴿**وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ**﴾ [المؤمنون: ٢١].

ومن أسماك البحار جعل له غذاءً كذلك؛ قال تعالى: ﴿**وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا**﴾ [النحل: ١٤].

فهذا الجسد إذن هو الجزء الأول الذي ركب الله منه الإنسان؛ كما قال تعالى: ﴿**إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ**﴾ [آل عمران: ٥٩].

وقال تعالى: ﴿**إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ * فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ**﴾ [الحجر: ٢٨، ٢٩]، وبهذا يكون قد تبين لنا غذاء هذا الجسد الذي لا بد له منه في هذه الحياة الدنيا.

أما الجزء الآخر الذي به يكمل الإنسان ويصبح سميعًا بصيرًا يتمتع بكافة أسباب الحياة فهو الروح – والتي هي من أمر الله تعالى

– وذلك أن الله تعالى بعد ما خلق الجسد من التراب نفخ فيه من روحه سبحانه وتعالى، وما أن دبت الروح في هذا الجسد حتى تحرك الإنسان، ولولا هذه الروح التي نفخها الله في هذا الجسد لأصبح جامدًا هامدًا لا حراك فيه. وهذه هي حقيقة ما يحصل للإنسان عندما يموت بإذن الله عز وجل فتفارق روحه جسده فيصبح جثة هامدة لا حياة فيها ولا حراك، وقد بين الله تعالى أيضًا غذاء هذه الروح في كتابه العزيز أكمل بيان؛ لأن هذه الروح هي التي عليها المعول؛ فبها يسعد الإنسان أو يشقى بحسب ما يصلها من الغذاء. فما هو غذاء هذه الروح؟

### غذاء الأرواح:

إن غذاء هذه الأرواح في ذكر الله جل وعلا وتقدس، وفي طاعته واتباع مرضاته وامتثال أمره واجتناب نهيه، وفي القرب منه والأنس به والانكسار بين يديه والإخبات إليه جل وعلا وتقدس؛ لأنها من أمر الله تعالى، كما قال سبحانه: ﴿ **وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا** ﴾ [الإسراء: ٨٥]، فطمأنينتها وسعادتها وسكونها في القرب من الله عز وجل، وذكره وطاعته كما قال تعالى: ﴿ **الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ** ﴾ [الرعد: ٢٨]، وكما قال عز من قائل عليمًا: ﴿ **وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ** ﴾ [الإسراء: ٨٢]، وكما قال سبحانه: ﴿ **إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ** ﴾ [الأنفال: ٢]؛ فأرواحهم في أنس

وسعادة؛ لأنها وجدت غذاءها ومبتغاها الذي به حياتها وطمأنينتها، فإذا فقدت هذه الروح غذاءها ذاقت الشقاوة والتعاسة وضنك العيش في الدنيا، ونار تلظى لا يصلاها إلا الأشقى يوم القيامة عياذًا بالله من ذلك.

وبجوع هذه الروح يحصل للإنسان الهلاك والعطب للروح والجسد معًا كما قال تعالى عمن همشوا جانب الروح وأقبلوا على الجسد؛ ليسعدوه بمعزل عن أرواحهم وغذائها: ﴿**وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى * قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا * قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى * وَكَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى**﴾ [طه: ١٢٤ – ١٢٧]؛ قال المفسرون: أي: ينساه الله في عذابه يوم لقائه لربه، ولذلك كان السلف يقولون: إن في الدنيا لجنة من لم يدخلها لم يدخل جنة الآخرة؛ ألا وهي ذكر الله وما والاه، وطاعته والأنس به سبحانه؛ ولذلك عندما تطمئن هذه الروح بالله عز وجل وتسكن إليه وتركن إليه يعيش العبد سعادة عظيمة تذوب معها الهموم والغموم، وينسى معها آلام الجسد وحرمان الفقر وعري الأبدان؛ ولذلك لما أغلق باب السجن على ابن تيمية رحمه الله تعالى تلا قول الله تعالى: ﴿**فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ**﴾ [الحديد: ١٣]، وكان يقول وهو في السجن مخاطبًا أعداءه وقد هانت عليه نفسه في ذات الله عز وجل: «مساكين هؤلاء، ما يفعل أعدائي بي؟ إن كان

سجني خلوة - أي يخلو فيه بربه سبحانه وتعالى ويأنس بمناجاته ودعائه وذكره - ونفيي سياحة، وقتلي شهادة؛ أنا بستاني في صدري أنى كنت فهو معي» يُشير إلى أن روحه مطمئنة بالله ساكنة إليه متوكلة عليه؛ فمهما يحصل بعدُ فلا يهم طالما وجدت هذه الروح غذاءها بطاعة خالقها وبارئها وموجدها من العدم، لذلك كان صلاح هذا القلب هو سر صلاح الجسد كله كما قال النبي ﷺ: «**ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله؛ ألا وهي القلب**»[1]، وحياة هذا القلب — والجسد تبع له — هي في ذكر الله عز وجل كما قال النبي ﷺ: «**مثل الذي ذكر ربه والذي لا يذكر ربه مثل الحي والميت**»[2]، ولذلك كان ابن مسعود يقول: «أتدرون من هو ميت الأحياء؟ ميت الأحياء الذي لا يعرف قلبه معروفًا ولا ينكر منكرًا»؛ فالذي يذكر ربه ويعظم حرماته ويغار عليها هذا هو الحي، أما الذي لا يذكر ربه ولا يعظم شعائره وحرماته ولا يغضب لله عز وجل فهذا هو الميت وإن كان يمشي على قدميه ويأكل ويشرب ويفعل سائر ما يفعله الأحياء؛ لأنه قد أصبح في معزل عن غذاء روحه، فأصبحت روحه في وحشة من جسمه، فكان حاصل ذلك موت القلب وعطب الجسد، وكان حاصل دنياه الذل والصغار، وفي أخراه الهلاك والخسران والبوار نسأل الله العافية والسلامة من ذلك.

(١) متفق عليه: البخاري ح(٥٢)، مسلم ح(١٥٩٩).

(٢) متفق عليه: البخاري ح(٦٤٠٧)، مسلم ح(٧٧٩).

كما قال قائلهم:

**ليس من مات فاستراح بميــت إنما الميــت ميــت الأحيــاء**

إذن فهذه هي الحقيقة التي يجب أن لا نغفل عنها أو نتناساها: أن الإنسان مكون من جسد وروح، وأن كل واحد مــن هــذين القسمين يحتاج إلى غذائه؛ ولذلك فالتوازن مطلوب والعدل مطلب إلهي؛ فمن عظم الجسد على حساب الروح فهو ظالم مطفف يــزن بميزانين ويكيل بمكيالين؛ فإذا كان في جانب الجسد وفاه حقه، وأما إذا كان في جانب الروح بخسه وأنقصه. وقد قال الله تعالى في شأن المطففين: ﴿**وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ**﴾ [المطففين: ١]، فلا تغفل عن غذاء الأبدان وغذاء الأرواح إن أردت لهما النجاة والسـعادة في الـدنيا والآخرة يرحمك الله.

أخي المربي إن الذي يهتم بأجساد أسرته ودنياهم، ويغفل عن أروحهم وآخرتهم إنما يجعلهم يعيشون حالة انفصام خطـيرة بـين الروح والجسد، فيشقى الإنسان ويتعس. ومـا صـور الضـياع والضلال التي يعيشها الغرب الكافر اليوم إلا أكبر مثال وبرهان على ذلك؛ فهم وإن ركبوا الفاره من السيارات، وسكنوا العـامر مـن الدور والقصور وناطحات السحاب، وإن أكلـوا شـتى أنـواع الأطعمة، وشربوا كل ما لذ لهم من المشروبات إلا أنهم يعانون من اضطراب نفسي عظيم وخلل روحي كبير؛ والسبب في ذلك هـو اهتمامهم بأجسادهم وغفلتهم عن أرواحهم. وأنت إن فعلت ذلك بمن تحت يدك فسوف تعرضهم لذلك المصير المؤلم نفسـه، فـلا تغرنك الضحكات ولا الابتسامات التي تراها على وجوه وقسمات

الغافلين صغارًا كانوا أو كبارًا؛ فإنها والله مزيفة وعاقبتها الحسرة والندامة عياذًا بالله من ذلك. نعم والله إنها مزيفة؛ فأي سعادة في جسم ممتلئ وقلب خرب خال من ذكر الله وإقام الصلاة؟ والأمر كما قال الحسن البصري - رحمه الله تعالى - عن حال العصاة والغافلين ممن غرتهم الحياة الدنيا وملاذها وغرهم بالله الغرور فغفلوا عن أرواحهم وغذائها وأقبلوا على أجسادهم بكل ما لذ وطاب: «والله وإن طقطقت بهم البغال وهملجت بهم البراذين إلا أنَّ ذل المعصية في قلوبهم؛ أبى الله إلا أن يذل من عصاه».

وكما قال أحدهم:

**وللدود تغذوا الحانيات صغارها**

**ولخراب اليوم تبني العمائر**

وكما قال الآخر:

**يا خادم الجسم كم تشقى بخدمته**

**أتطلب الربح مما فيه خسران**

**انهض إلى الروح واستكمل**

**فأنت بالروح لا بالجسم إنسان**

إذن عليك يا أخي بارك الله فيك أن توازن بين الروح والجسد، وأن تعطي كل ذي حق حقه، وأن تعرف أن هذه الروح هي مناط السعادة والشقاوة، وأما الأجساد فإنما تنعكس عليها هذه العلامات من السعادة أو الشقاوة، فلا تهتم بالقشور وتترك اللباب.

**ثانيًا: أجب نفسك بصراحة:**

إن المصارحة والمكاشفة مع النفس أمر مهم للغاية؛ لأن النفس كما قال عنها خالقها وبارئها: ﴿**إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي**﴾ [يوسف: ٥٣]، وحتى لا يخدع أحدنا نفسه فيظن الكلام موجه إلى غيره فينصرف ذهنه إلى الآخرين فينزه نفسه ويبرئها، وعلى النفس أن تعلم أن الدواء قد يكون مرًا إلا أن فيه الشفاء بإذن الله تعالى، وكذلك الحقيقة قد تكون ثقيلة على النفوس، والصراحة قد تكون مؤلمة للبعض؛ إلا أنه لا بد من ذلك القدر من المكاشفة والمواجهة مع هذه النفس والخلوة معها ومصارحتها حتى يعرف كل واحد منا نفسه ومدى صدقها – وإن كان ذلك قاسيًا عليك – فإن الأمر كما قال بعض الحكماء: «صديقك من صَدَقَكَ لا من صَدَّقَكَ»؛ نعم فإن صديقك الحقيقي هو الذي يصارحك بخطئك ويهتم بأمور دينك أكثر مما يهتم بأمور دنياك، أما الذي يصفق لك في كل حين ويوافقك فيما تأتي وما تذر فهذا ليس لك بصديق؛ إنما هو مداهن ومصانع، وهو عدو لك في الحقيقة – وإن كانت هي نفسك التي بين جوانحك – وستنكشف لك هذه الحقيقة يوم القيامة؛ اليوم الذي يقول الله فيه: ﴿**الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ * يَا عِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ**﴾ [الزخرف: ٦٧، ٦٨]، ولكن ولات حين مندم.

فاسأل نفسك بصراحة بارك الله فيك: هل أعطيت كل ذي حق حقه؟ هل أعطيت الروح حقها فاهتممت بها وبتزكيتها كما

أنك أعطيت الجسد حقه، أو أنك كنت من الذين يبخسون الروح حقها ويعظمون الجسد وملذاته؛ فتكون من الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿**يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ**﴾ [الروم: ٧]، وكما قال تعالى: ﴿**إِنَّ هَؤُلَاءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا**﴾ [الإنسان: ٢٧].

هذا سؤال قد طرحته عليك فأجب عليه نفسك بنفسك، وأذكرك مرة أخرى أن تكون معها صادقًا منصفًا – لا مخادعًا مماطلاً – إن أردت حقًا النجاة لك ولمن تعول.

**ثالثًا: من أيهما أنت؟**

إن الله قد وضح في كتابه العزيز صنفين من الناس:

- صنف يحرص دائمًا على أن يكون هو وأهل بيته وأسرته من السعداء في الدنيا والآخرة، فيعيش هو وأسرته الحياة الطيبة التي قال الله عز وجل عنها: ﴿**مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾ [النحل: ٩٧]، ويرجو أن يكونوا معه ﴿**فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ * فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ**﴾ [القمر: ٥٤، ٥٥]؛ فهو لا يرضى بحال أن يُفَرَّقَ بينه وبينهم فيكون فريق في الجنة وفريق في السعير، بل دائمًا يطمح ويطمع أن يكونوا كلهم معه في الجنة. وهذا الصنف هو الذي قال الله تعالى فيه: ﴿**وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ * وَأَمْدَدْنَاهُمْ بِفَاكِهَةٍ وَلَحْمٍ**

**مِمَّا يَشْتَهُونَ﴾** [الطور: ٢١، ٢٢].

– وأما الصنف الآخر فهو ذلك المربي الذي لم يهتم سوى بدنيا أولاده، فسعى وأتعب نفسه في جمع حطام هذه الدنيا الفانية، وكان همه الأكبر في ملء البطون وإرضاء الفروج وتسمين الأولاد، وغفل بنفسه وأسرته عن الدار الآخرة. وهذا الصنف هو الذي قال الله تعالى فيهم: ﴿**فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ دُونِهِ قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ * لَهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِنَ النَّارِ وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ يَا عِبَادِ فَاتَّقُونِ**﴾ [الزمر: ١٥، ١٦]، فمن أيهما أنت أيها المربي؟ وأقول لك مرة أخرى: أجب نفسك بنفسك بصراحة إن أردت الفلاح والنجاح.

**رابعًا: ما هو النجاح الحقيقي؟**

كثيرًا ما يتكلم الناس عن النجاح ومقاييسه ومعاييره بمفاهيم ومرئيات ومعتقدات مختلفة ومتباينة، ولكن المهم أنه عليك أن تعلم أنت تتعامل مع أهلك وأسرتك أن النجاح الحقيقي ليس في هذه الدنيا الفانية كما يظن البعض فيصرف جل وقته في تحقيق ذلك والاهتمام به؛ فإن أحدنا إذا ما حصل ابنه على شهادة علمية عالية، أو حصل على المركز الأول مثلاً، تجده يطير فرحًا ويضع هذه الشهادة في برواز جميل ويعلقها في المجالس، وكلما أتاه أحد أخبره بذلك فرحًا مستبشرًا بنجاح ابنه وتفوقه وتقدمه على الآخرين، مع أنك تجده مهملاً لمن تحت يده فيما يتعلق بأمور الآخر.

إذن فعليك أن تعلم أن حرصك على النجاح والنجاة والفلاح لهم في الدار الآخرة أهم منه في الحياة الدنيا الفانية، وسعادتك بهم في الآخرة أكبر من فرحك بهم في الدنيا، فيوم ينادى بهم على رؤوس الأشهاد – يوم العرض على رب العباد فيعطون كتابهم بأيمانهم – عندها تكون الفرحة الحقيقية والسعادة الأبدية، عندها يأخذ كل واحد منهم كتابه بيمينه ويطير به فرحًا مسرورًا في الأولين والآخرين قائلاً كما قال تعالى: ﴿**هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ * إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاق حِسَابِيَهْ * فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ * فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ * قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ * كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ**﴾ [الحاقة: ١٩-٢٤] فيا لها من سعادة ونجاة ما أعظمها.

نعم إن هذه هي السعادة الكبرى وهذا هو النجاح الحقيقي، فماذا يغني عني وعنك وعنهم أن ننجح في امتحانات الدنيا ونتفوق فيها ونتقلد المناصب ولكن نرسب في امتحانات الدار الآخرة حيث لا استدراك ولا استعتاب ولا دور ثاني ولا غيره؟ فما هناك إلا الجنة أو نار وعدها الله الذين لا يؤمنون، عندها لا تسأل عن حسرتهم وندامتهم، فالموقف عصيب والحساب دقيق والعرض على رب العالمين فتلوى يد الواحد منهم خلق ظهره ويؤتى كتابه بشماله كما قال تعالى: ﴿**وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ * وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ * يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ * مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيَهْ * هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ * خُذُوهُ فَغُلُّوهُ * ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ * ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ**﴾ [الحاقة: ٢٥-٣٢]، فهذه هي الحقيقة أخي المربي بارك الله فيك،

فالنجاح كل النجاح يوم أن تنجو أنت ومن تحت يدك من عذاب الله وتدخل جنته، والرسوب كل الرسوب والحسرة كل الحسرة يوم الخزي والندامة والفضيحة؛ يوم يدخل الغافلون إلى نار حرها شديد وقعرها بعيد، طعام أهلها الزقوم وشرابهم الصديد؛ نسأل الله العافية والسلامة منها. فاحذر أن تكون سببًا في دخول نفسك أو أحد أفراد أسرتك إلى تلك النار كما قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ**﴾ [التحريم: ٦].

**خامسًا: إذن فعليك تدور الرحى:**

نعم أنت أيها المربي، وأنت كذلك أيتها المربية عليكما تدور الرحى، وأنتما المحك الأساسي؛ فقد حملكما الله عز وجل مسؤولية توجيه هذه الفطرة التي فطر الله الناس عليها؛ كما قال تعالى: ﴿**فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ * مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ * مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ**﴾ [الروم: ٣٠-٣٢]، وهذا من فضل الله عز وجل وكرمه على عباده أنه جعل في كل مولود الفطرة السليمة المستقيمة، فلم يبق علينا إلا أن نقوم بتوجيهها إما إلى الخير الذي يزيدها نماءً وبهاءً حتى تؤتي أكلها، وإما إلى الشر الذي يطمس معالمها ثم يزيلها بالكلية فتنحرف النفس عن فطرتها. كل هذا هو مسؤوليتك أيها المربي؛

كما قال النبي ﷺ: «**كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه**»[١]، وهذا يدلنا على أن الوالدين هما اللذين يُقوِّمان هذه الفطرة أو يحرفانها.

والسؤال الذي يطرح نفسه الآن: هل قمت بهذا الدور الحساس الخطير خير القيام أو لا؟ أو أنك جعلت للشيطان نصيبًا من مالك وولدك. والشيطان عدونا اللدود؛ فما أن يجد الفرصة مواتية حتى يفتك بنا ويهلكنا؛ كما قال النبي ﷺ: «**قال الله تعالى: إني خلقت عبدي حنفاء كلهم وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم وحرمت عليهم ما أحللت لهم**»[٢]؛ وذلك يكون إذا أهملناهم وفرطنا في تربيتهم، فيأخذ الشيطان منهم حظًا ونصيبًا، فيهلكهم والعياذ بالله من ذلك؛ كما قال تعالى عن مر الشيطان ببني آدم: ﴿**قَالَ اذْهَبْ فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاؤُكُمْ جَزَاءً مَوْفُورًا * وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعِدْهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا * إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَى بِرَبِّكَ وَكِيلًا**﴾ [الإسراء: ٦٣-٦٥]. فاحرص على أن يكونوا من عباد الله الذين ليس للشيطان عليهم سبيل؛ وذلك بتقويم هذه الفطرة، وعليك أن تعلم أنه عليك تدور الرحى.

**سادسًا: الخيانة العظمى:**

قال النبي ﷺ: «**والرجل راعٍ على أهل بيته وهو مسؤول**

(١) متفق عليه: البخاري (١٣٨٥) واللفظ له، ومسلم (٢٦٥٨).
(٢) رواه مسلم، رقم (٢٨٦٥).

**عنهم، والمرأة راعية على بيت بعلها وولده وهي مسؤولة عنهم ... ألا فكلكم راعٍ وكلكم مسؤول عن رعيته**»(١)، وقال أيضًا ﷺ: «**ما من عبد يسترعيه الله رعية يموت يوم يموت وهو غاش لرعيته إلا حرم الله عليه الجنة**»(٢) فنعوذ بالله من غضب الله ومقته وطرده وأليم عذابه، وأي خيانة أعظم وأي غش أكبر من أن تقدم لأولادك الحرام من المرئيات والمسموعات من تلفاز ودش وصور خليعة أو فاتنة على أنه لا حرج فيه ولا غضاضة، بل وتقعد أمامهم — وأنت القدوة — لمشاهدة الماجنين والماجنات والممثلين والممثلات واللاعبين واللاعبات، ولربما قمت بضرب أحدهم لو أراد أن يقاطعك وأنت تتابع أحد تلك الأمور المحرمة؛ فتزيف لهم الحقائق، وتقدم لهم الفساد على أنه الصلاح، والشر على أنه الخير، وتحول بينهم وبين طاعة ربهم فتنسيهم ربهم فينساهم ربهم عياذًا بالله من ذلك. ليس هذا فحسب، بل الأعظم من ذلك نومك عن صلاة الفجر بعد سهرة طويلة أمام تلك المحرمات من الأقوال والأعمال؛ تنام عن الصلاة ولا توقظهم لها ثم تضرب أحدهم وتوبخه إن تأخر عن المدرسة أو عن دوامه، فتعلمهم أن متابعة تلك البرامج والحرص على أوقات المدارس والوظائف أهم من صلاة الفجر. والدليل على ذلك أنك تستيقظ للمحرمات وتسهر أمامها، وتحرص على المدارس والوظائف في حين أنك لا تلقي بالاً للصلاة المفروضة، ولا تهتم بها — وأنت القدوة — فكل ما تفعله في نظرهم هو الحق، ولذلك عندما يكبرون ويخالطون المجتمع ويعرفون الحق من الباطل على

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٨٩٣)، ومسلم (١٨٢٩) واللفظ له.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٧١٥٠)، ومسلم (١٤٢) واللفظ له.

لسان المصلحين والواعظين الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر يعيشون حالة انفصام في الشخصية، ويظهر الخلل في نفوسهم بين ما يسمعونه من الحق والآيات والأحاديث وبين ما يرونك عليه وربيتهم عليه؛ فيا لها من خيانة ما أعظمها، ويا له من غش وخداع وتفريط ما أبشعه. وبذلك نخرج للبشرية جيلاً مذبذبًا قدوته هذه أو ذاك من أرباب الخنا والفجور والإجرام أو من أصحاب الفكر التافه الحقير الهدام؛ فتكون همته وأقصى أمانيه وطموحاته أن يكون كواحد من أولئك الذين: ﴿ **بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ * جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَبِئْسَ الْقَرَارُ** ﴾، ولذلك فإن هذه الأفعال الخطيرة هي في الحقيقة جريمة كبرى وخيانة عظمى ليس على الأولاد فحسب بل وعلى المجتمع الإسلامي بأسره؛ لأنك بذلك تكون قد أخرجت جيلاً فاسدًا فاجرًا لا يعرف معروفًا ولا ينكر منكرًا إلا ما أشرب من هواه، وهم بدورهم سيخرجون أجيالاً كذلك إلا من رحم الله منهم؛ ولذلك قال نوح عليه السلام: ﴿ **رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا * إِنَّكَ إِنْ تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا** ﴾ [نوح: ٢٦، ٢٧]، ولعل الذين ستقوم عليهم الساعة سيكونون من هذا الصنف من الناس الذي تربى على الرذيلة واتباع الشهوات والشبهات حتى يصل بهم الحال إلى أن يكونوا هم شرار الخلق عند الله تعالى وعليهم تقوم الساعة كما قال النبي ﷺ: «**لا تقوم الساعة حتى لا يقال في الأرض الله الله**»[١] وقال: «**لا تقوم الساعة إلا على شرار**

---

(١) رواه مسلم، رقم (١٤٨).

**الخلق»**[(١)]. أخي؛ قد أكون قسوت عليك في الخطاب إلا أنها الحقيقة التي لا بد من مواجهتها حتى لا نكون كالنعامة تدس رأسها في التراب والخطر من ورائها قادم، فالإفساد يورث الفساد والإصلاح ينتج الصلاح بإذن الله عز وجل.

وإنك والله يا أخي سوف تُسأل عن هذه الرعية لا محالة من ذلك ولا شك؛ كما قال النبي ﷺ مخبرًا عن هذه الحقيقة في الحديث الذي أخرجه البخاري ومسلم من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال النبي ﷺ: «**كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته؛ الإمام راع ومسؤول عن رعيته، والرجل راع في أهله وهو مسؤول عن رعيته، والمرأة راعية في بيت زوجها ومسؤولة عن رعيتها، والخادم راع في مال سيده ومسؤول عن رعيته**»، قال ابن عمر رضي الله عنهما: وحسبت أنه قد قال: «**والرجل راع في مال أبيه ومسؤول عن رعيته، وكلكم راع ومسؤول عن رعيته**»[(٢)] والله تعالى يقول: ﴿**وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ**﴾ [الصافات: ٢٤]، فسوف تسأل، وسوف تحاسب على الصغير والكبير منهم؛ فلا تخن هذه الأمانة بارك الله فيك.

**سابعًا: كن منهم على حذر:**

نعم، كن على حذر أيها المربي من زوجتك وأولادك، وكذلك أنت أيتها المربية كوني على حذر من زوجك وأولادك، وأنتم أيها

---

(١) رواه مسلم موقوفًا على عبد الله بن عمرو بن العاص وله حكم الرفع (١٩٢٤).

(٢) سبق تخريجه، واللفظ هنا لفظ البخاري.

الأبناء كونوا على حذر من والديكما؛ فقد تكونون أعداءً بعضكم لبعض!! يا سبحان الله!! كيف ومتى يكون ذلك كله؟ كل ذلك يحصل إذا ما تنكبت الأسرة صراط الله المستقيم، ونحت شرع الله عز وجل عن واقعها، واتخذت من عدوها اللدود الشيطان الرجيم وليًا من دون الله عز وجل، واتبعت الهوى والنفس الأمارة بالسوء والعياذ بالله من ذلك؛ فيهلك كل واحد صاحبه وحبيبه من حيث لا يشعر؛ لأن أمره قد صار فرطًا، فمن أطاعه أهلكه معه والعياذ بالله من ذلك؛ كما قال الله تعالى محذرًا من ذل: ﴿**وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا**﴾ [الكهف: ٢٨] واقرأ يا أخي هذه الآية التي توضح لنا الأمر وتجلي لنا الموقف من كلام العليم الخبير بعباده بما يصلحهم وما يفسدهم، قال الله عز وجل: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَإِنْ تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ * إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ**﴾ [التغابن: ١٤، ١٥]، قال مجاهد رحمه الله تعالى في تفسير هذه الآية: «يحملون الرجل على قطيعة الرحم أو معصية ربه فلا يستطيع الرجل مع حبه إلا أن يطيعهم».

وقال القاضي أبو بكر العربي: «هذا يبين وجه العداوة؛ فإن العدو لم يكن عدوًا لذاته وإنما كان عدوًا بفعله؛ فإذا فعل الزوج والولد فعل العدو كان عدوًا. ولا فعل أقبح من الحيلولة بين العبد وبين الطاعة». نعم، إنك إذا وضعت المحرمات بين يدي أهل بيتك فإنك تكون بهذا الفعل قد حلت بينهم وبين طاعة الله عز وجل؛

قال القرطبي: «كما أن الرجل قد يكون لولده وزوجته عدو فكذلك المرأة يكون لها زوجها وولدها عدوًا بهذا المعنى بعينه»، وقال بعضهم: «يؤتى بالرجل يوم القيامة فيقال: أَكَلَ عيالُك حسناتك» وعن بعض السلف قالوا: «العيال سوس الطاعات» كما قال الله تعالى: ﴿**إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ**﴾ [التغابن: ١٥].

**ثامنًا: هذه هي الحقيقة الكبرى:**

إن حقيقة هذا الوجود كله، وسر هذا الخلق علوية وسفلية هو في قول الله عز وجل: ﴿**وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ * مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ * إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ**﴾ [الذاريات: ٥٦-٥٨]، إذن فأنت عبدٌ لله عز وجل فاجعل ذلك وحُبك لله عز وجل أعظم من حبك لأولادك، وكن دائمًا محاولاً أن تعمل بهذه الحقيقة؛ وذلك بأن تقدم دائمًا مراد الله عز وجل على مرادك ومراد أولادك وأزواجك، وأن تقدم ما يحبه الله عز وجل على ما تحبه أنت وأهل بيتك؛ لأنك أنت وهم عباد لله الواحد القهار ولم تخلقوا إلا لتحقيق هذه العبودية، وعليه فإذا طلب منك أحد من أولادك أو أهل بيتك شيئًا ما فما عليك إلا أن تبادر إلى عرضه على كتاب الله عز وجل وسنة رسوله ﷺ؛ فإن وافق الشرع المطهر فبها ونعمة، وإن خالفها فلا وألف لا - وإن بكوا وإن غضبوا عليك - فإن طاعة الله عز وجل وطاعة رسوله ﷺ أهم وأولى، والذل إنما يكون لله تعالى فلا تجعل ذلك لأولادك مقدمًا على ذلك لربك جل وعلا؛ فهذه عبودية من أعظم

العبوديات، وإلى هذا أشار ابن القيم في نونيته فقال:

**وعبادة الرحمن غاية حبه مع ذل عابده هما قطبان**
**وعليهما فلك العبادة دائر ما دار حتى قامت القطبان**

ولا تنس يا أخي الحبيب أن الله عز وجل هو الذي وهبك هذه النعمة من الأولاد والأزواج والذرية، فإياك أن تقبل الإحسان بالإساءة، ولا تحول النعمة إلى نقمة، والخير إلى الشر فتكون ممن قال الله تعالى فيهم: ﴿**أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ * جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَبِئْسَ الْقَرَارُ**﴾ [إبراهيم: ٢٨، ٢٩]، فلا تقدم طاعتهم على طاعة الله عز وجل، ولا رضاهم على رضاء الله عز وجل. والأمر كما قال النبي ﷺ: «**من التمس رضا الله بسخط الناس كفاه الله مؤنة الناس، ومن التمس رضا الناس بسخط الله وكله الله إلى الناس**»[1]، وقال ﷺ: «**من كان همه الآخرة جمع الله شمله، وجعل غناه في قلبه، وأتته الدنيا وهي راغمة، ومن كانت نيته الدنيا فرق الله عليه ضيعته، وجعل فقره بين عينيه، ولم يأته من الدنيا إلا ما كتب له ...**»[2]، واحذر أن تكون ممن قال الله تعالى فيهم موضحًا حالهم عند بداية تمني النعمة وما آلوا إليه بعد أن مَنَّ الله عليهم بها؛ قال تعالى: ﴿**هُوَ**

---

(١) رواه الترمذي كتاب الزهد، ح (٢٤١٤) بإسنادين أحدهما مرفوع وفيه جهالة وشذوذ، والآخر موقوف على عائشة رضي الله عنها؛ وهو الأرجح لأن الواقفين للحديث عليها أوثق.

(٢) رواه أحمد: ١٨٣/٥ واللفظ له، وابن ماجه (٤١٠٥)، بسند قال فيه الهيثمي إسناده صحيح ورجاله ثقات.

الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِ فَلَمَّا أَثْقَلَتْ دَعَوَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحًا لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ * فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٩، ١٩٠].

**تاسعًا: صور من واقعنا وواقع الصحابة والسلف الصالح:**

حقيقة إن المقارنة في مثل هذه الأحوال أمر صعب للغاية؛ لأن البون بيننا وبينهم شاسع. ولكنهم هم القدوة فلا بد من المقارنة لنعرف الخلل فنصلحه، ونجد الداء فنبحث له عن الدواء، فالله المستعان.

فنقول: ما هي طموحات أولادنا اليوم؟ وما هو تفكيرهم؟ وما هي أمانيهم؟ تجد أحدهم همه الأكبر أن يركب الدراجة، أو يقود السيارة، أو ينظر إلى أفلام الكرتون التي ابتلينا بها في هذه الأزمان المتأخرة؛ لذلك خرج لنا جيل من الكرتون، ضعيف لا يغني ولا يسمن من جوع، وجل تفكيرهم في التوافه من الأمور، فمعظم أحاديثهم عن الكرة واللاعبين واللاعبات وتتبع أخبارهم: من الذي فاز؟ ومن هو الهداف؟ ومن هو أحسن لاعب؟ وهكذا، أو عن المسلسلات والساقطين والساقطات. وإذا سألته عن طموحه فلا تجده إلا مجيبًا: أريد أن أكون مثل واحد من هؤلاء المشاهير بالفسق والفجور عياذًا بالله من ذلك؛ فهذا صنف، وصنف آخر إذا سألته ماذا تريد أن تكون غدًا؟ قال لك: أريد أن أكون طبيبًا أو مهندسًا؛

لا ليخدم المسلمين ويسد حاجتهم في ذلك، ولكن لأن هذه الدرجات أعظم من غيرها وزنًا في المجتمع والواقع المعاش، وهي أكثر من غيرها من الوظائف من جهة الراتب والامتيازات؛ كل التفكير في ما يتعلق بهذه الفانية، وجل الاهتمام بحطامها، لماذا؟ لأنه هكذا تربى على الاهتمام بالدنيا فقط ليأكل بها ويعيش، أما الآخرة فلم تخطر بالبال و لم تكن في الحسبان، فالله المستعان.

أما غلمان الصحابة رضي الله عنهم أجمعين فطموحاتهم الجنة، وأملهم في رضاء الله عز وجل، والغضب لله عز وجل إذا ما انتهكت محارمه، والدعوة إلى الله عز وجل؛ لأنهم يعرفون أنهم ما خلقوا إلا لذلك؛ فلزموا ما عرفوا رضي الله عنهم أجمعين. وأسوق إليك قصة غلامين من غلمان الصحابة رضي الله عنهم، ألا وهما ابنا عفراء في غزوة بدر الكبرى؛ فقد جاء في الصحيحين من حديث عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه قال: «بينا أنا واقف في الصف يوم بدر فنظرت عن يميني وعن شمالي فإذا أنا بين غلامين من الأنصار حديثة أسنانهما، تمنيت أن أكون بين أضلع منهما، فغمزني أحدهما فقال: يا عم، هل تعرف أبا جهل؟ قلت: نعم، ما حاجتك إليه يا ابن أخي؟ قال: أُخبرت أنه يسب رسول الله ﷺ، والذي نفسي بيده لئن رأيته لا يفارق سوادي سواده حتى يموت الأعجل منا. فتعجبت لذلك، فغمزني الآخر فقال لي مثلها، فلم أنشب أن نظرت إلى أبي جهل يجول في الناس، قلت: ألا إن هذا صاحبكما الذي سألتماني. فابتدره بسيفيهما فضرباه حتى قتلاه، ثم انصرفا إلى رسول الله ﷺ فأخبراه فقال: «**أيكما قتله؟**». قال كل

منهما: أنا قتلته، فقال: «**هل مسحتما سيفيكما؟**» قالا: لا، فنظر في السيفين فقال: «**كلاكما قتله**»[١].

فانظر يا أخي إلى طموحات وتطلعات أبناء الصحابة رضي الله عنهم أجمعين؛ هممهم عالية يسألون عن رأس الكفر وفرعون هـذه الأمة أبي جهل – لعنه الله تعالى – يريدان أن يقضيا عليه، فما هو السبب في ذلك؟ السبب هو أنهما قد أخبرا أنه يسب الرسول ﷺ. انظر يا أخي: أخبرا، بلغهما ذلك و لم يسمعاه بنفسيهما فقاما غضبا لله عز وجل ولرسوله ﷺ، فما أعظم تلك الهمم وما أكـبر تلـك العزائم والطموحات؛ فهم حقًا الصغار الكبار، صغار في الأعمـار والأجسام ولكنهم كبار في الهمم والمطالب والعزائم. وكما قـال أحدهم:

**وإذا كانت النفـوس كبـارا تعبت في مرادهـا الأجسـام**

هذا فيما يتعلق بالصغار، أما الكبار منا فما هي طموحـاتهم وأمانيهم وتساؤلاتهم؟

إن أقصى أماني الكثير منا – إلا من رحم الله – مدارها علـى هذه الحياة الدنيا وجمع حطامها والتكثر منها، أما الأسئلة فهي: هل بنينا البيت؟ هل أحضرنا جميع الكماليات؟ هل اشترينا السيارة؟ هل بنينا المزرعة والاستراحة؟ هل ... هل ...؟ كلها اهتمامات دنيوية، وهذا أمر لا حرج فيه ولكن العجب أنه لا حظ للآخرة منها، بـل لربما وقعت البلايا والفتن في ديننا ومع ذلك لا نهـتم لـذلك ولا

(١) متفق عليه. البخاري (٣١٤١) واللفظ له، ومسلم (١٧٥٢).

نكترث، فنخشى والله أن يحق علينا قول النبي ﷺ: «**تعس عبد الدينار، وعبد الدرهم، وعبد الخميصة؛ إن أعطي رضي وإن لم يعط سخط، تعس وانتكس وإذا شيك فلا انتقش**»[١]، أما التفكير في أمر الإسلام والمسلمين، ونشر دين الله عز وجل، والسعي لإعلاء كلمة الله عز وجل، والدعوة إلى توحيد الله عز وجل – وهو الأمر الذي خلقنا من أجله – فهذا كله قل رصيده عندنا فلا نصرف له شيئًا من أوقاتنا، والنشيط منا من يجعل الدعوة إلى الله حسب فراغه من العمل لهذه الدنيا الفانية. فلما فَرَّغْنا الوقت وصرفنا الجهد إلى الدنيا، وجعلنا للآخرة والدعوة إلى الله عز وجل فضول أوقاتنا؛ محقت بركة أوقاتنا و لم نستفد منها إلا الهموم والغموم والخسران والعياذ بالله من ذلك.

أما الصحابة رضوان الله تعالى عليهم؛ فلما فرغوا من دنياهم لأخراهم – بل جعلوا الدنيا بأسرها مطية إلى الآخرة – بارك الله لهم في أوقاتهم، ففتحوا الدنيا واقتحموا الصعاب وذللوها، ونشروا دين الله عز وجل في أصقاع المعمورة في وقت وجيز؛ لأن الله تعالى بارك لهم في أوقاتهم؛ لأنهم جعلوا الهم همًا واحدًا – ألا وهو الحصول على رضوان الله تعالى – فضحوا بالغالي والنفيس في سبيل الحصول على ذلك، فأورثهم الله جل جلاله جنة عرضها السموات والأرض فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، ولذلك كان أحدهم يُطعن في أرض المعركة فيقول: فزت ورب الكعبة، فيا سبحان الله! يفارق أحدهم الأولاد والذرية؛ هو

(١) رواه البخاري في الجهاد والسير (٢٨٨٧).

يفارق الدنيا بأسرها بزينتها وجمالها ولكنه يقول: فزت ورب الكعبة، نعم، لهذا سعى وللجنة طموحه وتطلعه، ففاز عندما جاءته بشارة نجاحه وفلاحه، وتحقق طموحاته وآماله وأمانيه.

كان هذا الأمر هم الجميع: ذكورًا وإناثًا، صغارًا وكبارًا، شيبًا وشبانًا، كيف ينتصر هذا الدين؟ وكيف السبيل إلى الجنة؟ حتى تلك الأم الرفيقة الحنونة يقتل ابنها في أرض المعركة بسهم طائش – وكان ممن لم يشارك في القتال – فجاءت تسأل النبي ﷺ لتطمئن عليه أهو في الجنة أم لا؟ نعم؛ فما ربته وتعبت عليه إلا وطموحها وتطلعها أن يدخل الجنة، وأن يموت في سبيل نصرة دين الله عز وجل. فلما قال لها النبي ﷺ إنه في الجنة اطمأنت وارتاحت واستبشرت لذلك؛ لأنها ما ربته إلا لمثل هذا [1].

نعم، تغيرت الأحوال وتبدلت الاهتمامات؛ فبعد أن كان النواح والعويل على الأموات صار الاستبشار والاطمئنان لأمر الله عز وجل، لماذا؟ لأنهم لما عرفوا الحقيقة وأدركوها فهموا المقصد والمراد من هذه الدنيا فلزموا ذلك، ولما جهلنا ذلك فرطنا في الجنة وبعناها بأبخس الأثمان؛ ولذلك نطلب الشهادة وهم كذلك يطلبونها، ولكن أي شهادة تلك التي نريدها نحن؟ نريد شهادات الدنيا؛ لنأكل بها ونعيش، ونجمع بها ما أمكن من هذه الدنيا وكلنا حرص وأمل في البقاء فيها ولكن هيهات، ولذلك ما أكثر

---

(١) أخرجه البخاري بمعناه (٢٦٥٤) كتاب الجهاد والسير باب: من أتاه سهم غرب فقتله.

الشهادات اليوم ومع ذلك فما أكثر الشهادات اليوم ومع ذلك فما أكثر تخلفنا عن الركب؛ لأنها ما أريد بها وجه الله تعالى، ولا نصرة دينه وإعلاء كلمته، أما هم فكانوا يطمعون في الشهادة التي تــراق فيها دماؤهم فيأتون يوم القيامة وجرحهم يثعب دمًا؛ اللون لــون الدم والريح ريح المسك. وكان أكبر همهم نشر دين الله وأن تكون كلمة الله هي العليا، وكلمة الذين كفروا السفلى؛ ولذلك عــزوا وذللنا، وسادوا وبدنا وتقدموا وتأخرنا؛ كمــا قــال الــنبي ﷺ: «**يوشك أن تداعى عليكم الأمم من كل أفق كما تداعى الأكلة على قصعتها**؛ قال: قلنا: يا رسول الله أمن قلة بنا يومئذ؟ قال: **أنتم يومئذ كثير، ولكن تكونون غثاء كغثاء السيل ينتزع المهابة مــن قلوب عدوكم ويجعل في قلوبكم الوهن**؛ قال: قلنا: وما الــوهن؟ قال: **حب الدنيا وكراهية الموت**»(١).

وقال ﷺ: «**إذا تبايعتم بالعينة، وأخذتم أذناب البقر، ورضيتم بالزرع، وتركتم الجهاد سلط الله علــيكم ذلاً لا ينزعــه حــتى ترجعوا إلى دينكم**»(٢).

فهذه هي الحقيقة التي لا بد أن نعيها: أنــه لا عــز لنــا إلا بالإسلام، فإذا ابتغينا العزة بغيره أذلنا الله. كما يروى ذلك عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه وأرضاه.

---

(١) رواه أحمد ٢٧٨/٥ بسند جيد واللفظ له، وأبو داود في الملاحم بسند ضعيف بمعناه برقم ٤٢٩٧ كلاهما من حديث ثوبان رضي الله عنه.

(٢) رواه أبو داود في البيوع برقم(٣٤٦٢) واللفظ له وأحمد في الزهد بمعناه، وفي الحديث مقال واختلاف، ولكن له شواهد كثيرة حسنه بها جماعة من العلماء

**عاشرًا: لا تكن أنانيًا:**

إن بعض المربين هدانا الله وإياهم – ولعلهم أن يكونوا قليلين في واقعنا – يحرصون كل الحرص على تلبية رغباتهم وشهواتهم الدنيوية المحرمة – ولو كان ذلك على حساب أسرته وأهل بيته – فتراه شغوفًا والعياذ بالله بالأفلام والمسلسلات، والمغنين والمغنيات، واللاعبين واللاعبات، وما أشبه ذلك من الفاجرين والفاجرات ومتابعتهم؛ ومن أجل ذلك يشتري الأجهزة المدمرة – خاصة المرئية منها –؛ ليحقق ما يريد ويرضي نفسه الأمارة بالسوء، ولو كان ذلك على حساب دين الآخرين الذين هم أهله وخاصته؛ ولربما احتج في بداية المطاف بحجة واهية شيطانية ألقاها الشيطان على كثير من العباد؛ ليسوغ بها إدخال أجهزة الدمار الشامل إلى المنازل؛ ألا وهي قولهم: إنما أدخلتها لمتابعة الأخبار العالمية. وهكذا تكون بداية النهاية والعياذ بالله.

وهذا شأن الأناني فهو لا يهتم بهلاك الآخرين طالما أنه يمتع نفسه، ولو كان ذلك بالفواحش والمنكرات، ولو بث ذلك في أهل بيته، بل لعله أن يحملهم على ذلك إما بالترغيب أو بالترهيب حتى ينغمسوا مثله في هذه الشهوات، فلا يبقى غريبًا في بيته وحيدًا في منهجه، بل يريد إغراق السفينة بما حملت في سبيل ترفيه نفسه بالمحرمات، بل ولربما كره أن يهتدي أحد أفراد أسرته حتى لا يكون رقيبًا عليه ومحاسبًا ومتابعًا له فيما يقارفه من المعاصي والمنكرات، بل ولربما بغض إلى أهل بيته أهل العلم والدعوة حتى لا يركن إليهم أحد أفراد هذه الأسرة المنكوبة بمثل هذا المربى الذي يجرم في حق

نفسه وحق أسرته. وكما أسلفنا فقد يكون هذا المربي أبًا أو أمًا والمصيبة الكبرى إذا كان كلاهما من هذا الصنف الأناني، فعندها لا تسأل عن مدى معاناة أفراد هذه الأسرة وشدة كربتها، أعاذنا الله وإياكم من أمثال هؤلاء الأنانين لا كثرهم الله. والسؤال الذي يطرح نفسه الآن. هل أنت واحد من هؤلاء الأنانيين أو لا؟ والإجابة مرة أخرى أمرها إليك أيها المربي.

**حادي عشر: اتق الله ولا تخف:**

إن الله عز وجل بَيَّنَ في كتابه العزيز سبيل النجاة والفلاح لهذه الأسرة المسلمة التي يتمنى ولي أمرها لها السعادة والعيش الرغيد في هذه الحياة الدنيا، وهو في ذلك خائف وجل على مستقبلهم؛ فهو يخاف أن تنزل به فاقة أو عاهة في بدنه تمنعه من كسب العيش وجلب الأرزاق لهم، أو أن تحل به مصيبة الموت وهم صبية صغار لا كسب لهم ولا مال ولا سلطان؛ فهو قلق وجل مترقب حريص على جمع المال لهم وكنزه ليستفيدوا به بعد موته، وهذا أمر محمود شرعًا وقد أمر به النبي ﷺ حيث قال: «**إنك أن تدع ورثتك أغنياء خير من أن تدعهم عالة يتكففون الناس في أيديهم** ...»[(١)]، ولكن هناك أمر عظيم، وضابط دقيق، وأمان إلهي، ووعد محقق من الجبار جل جلاله لمن هذه حالته — وكلنا كذلك — حيث قال عز من قائل عليمًا: ﴿**وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا**﴾ [النساء: ٩]، فبين

(١) متفق عليه: البخاري (٢٧٤٢) واللفظ له، ومسلم (١٦٢٨).

الله عز وجل في هذه الآية الكريمة أمرًا هامًا بوجوده يحصل الأمن والنجاة والرزق الحلال والعيش الرغيد في هذه الدنيا، والنجاح والفلاح في الدار الآخرة؛ يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم؛ ألا وهو التقوى: إن الذي يتق الله عز وجل في نفسه وماله وأسرته وعده الله عز وجل بأمور عديدة:

- منها حصول الرزق؛ قال تعالى: ﴿**وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ**﴾ [الطلاق: ٢، ٣].

- ومن يتق الله يفرج الله له همه وييسر له أمره؛ قال تعالى: ﴿**وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا**﴾ [الطلاق: ٤].

- ومن يتق الله موعود بالأجر العظيم وتكفير السيئات؛ قال تعالى: ﴿**وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا**﴾ [الطلاق: ٥].

- وقد تكفل الله للمتقين بتحصيلهم للعلم النافع الذي يُنْتج العمل الصالح؛ قال تعالى: ﴿**وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ**﴾ [البقرة: ٢٨٢].

- والمتقون هم أولياء الله الذين قال الله عنهم: ﴿**أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ**﴾ [يونس: ٦٢].

- والمتقي وعده الله بأن يحفظ له نسله ويصلح منهم ما يشاء سبحانه؛ فقال تعالى: ﴿**وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا**﴾ [الكهف: ٨٢]، فكان من أعظم أسباب حفظ هذا المال لهذين الغلامين تقوى الأب وصلاحه؛ ولذلك فمن أراد من الله عز

وجل أن يصلح له نسله وعقبه فعليه بالعمل على مرضاة الله وتقواه. ومن كان هذا حاله فإنه سيحرص كل الحرص وسيعمل جاهدًا على إصلاح أهل بيته وإقامتهم على تقوى الله عز وجل؛ وبيت هذا حاله فإن له الفلاح والنجاح والحفظ والتوفيق والسداد من الله الحافظ الرحيم.

ولا أدل على ذلك مما حصل مع الصحابة رضوان الله عليهم؛ فإنهم سادات الأولياء والمتقين الصالحين؛ ولذلك حفظ الله لهم أبناءهم وأنبتهم نباتًا حسنًا – إلا ما شاء الله – فلم نسمع أن أحدهم ضيع الله له ذريته، بل حفظهم الله تعالى بحفظه كما قال تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ**﴾ [الطور: ٢١].

**ثاني عشر: ما هو المطلوب وما هو العلاج؟**

إن العلاج قد يكون مرًا والحقيقة صعبة، ولكن من أراد الشفاء والنجاة فلا بد أن يسلك طرقها، وإنما شفاء العي السؤال، «**وما أنزل الله عز وجل من داء إلا أنزل له شفاء؛ علمه من علمه وجهله من جهله**»[1] كما قال النبي ﷺ، فما علينا إلا أن نسعى بجد واجتهاد للحصول على العلاج فإذا وجدناه فعلينا أن نلزمه حتى تكون النجاة ما استطعنا إلى ذلك سبيلاً؛ فنقول وبالله التوفيق:

(١) أخرجه أحمد ٤٥٣/١ من حديث ابن مسعود واللفظ له، وأخرجه البخاري مختصرًا من حديث أبي هريرة (٥٦٧٨) إلى قوله: (إلا أنزل له شفاء)، ولمسلم من حديث جابر بلفظ (لكل داء دواء فإذا أصيب دواء الداء برأ بإذن الله عز وجل).

يظهر لنا العلاج بعد استقراء الكتاب والسُّنة؛ فما من خير إلا دلا عليه، وما من شر إلا حذار منه، وما علينا إلا العلم بذلك. فإليك هذه المجموعة من الجرعات العلاجية المستقاة من المشكاة النبوية المعصومة:

١- التذكر الدائم لطبيعة خلق هذا الإنسان:

فعليك دائمًا أن تتذكر أنك تتعامل مع إنسان — الذي هو أحد أفراد أسرتك أو شخصك أنت — مكون من جسد وروح معًا، فلا تتغافل عن هذه الحقيقة مطلقًا وأعط كل ذي حق حقه.

٢- علّم أهل بيتك العلوم النافعة والعادات الحسنة منذ الصغر، واجعل همتهم إلى معالي الأمور متوجهة، وانظر إلى ما قاله ابن القيم رحمه الله تعالى في كلام قيم له؛ قال: «من أهمل تعليم ولده ما ينفعه وتركه سدى فقد أساء إليه غاية الإساءة، وأكثر الأولاد إنما جاء فسادهم من قبل الآباء وإهمالهم وترك تعليمهم فرائض الدين وسننه؛ فأضاعوهم صغارًا فلم ينتفعوا بأنفسهم ولم ينفعوا آباءهم كبارًا، كما عاتب بعضهم ولده على العقوق فقال: يا أبت إنك عققتني صغيرًا فعققتك كبيرًا وأضعتني وليدًا، فأضعتك شيخًا»[1]، وقال أيضًا: «ومما يحتاج إليه الطفل غاية الاحتياج: الاعتناء بأمر خُلُقه؛ فإنه ينشأ على ما عوده المربي في صغره من غضب، ولجاج وغفلة، وخفة وطيش، وحدَّة وجشع؛ فيصعب عليه في كبره تلافي ذلك، وتصير هذه الأخلاق صفات وهيئات راسخة؛ فلو تحرز منها غاية

---

(١) تحفة المودود بأحكام المولود: ص١٩٣.

التحرز فضحته ولا بد يومًا ما؛ ولهذا تجد أكثر النـــاس منحرفـــة أخلاقهم، وذلك بسبب التربية التي نشأ عليها، وكذلك يجـــب أن يجتنب الصبي إذا عقل مجالس اللهو والباطل والغناء وسماع الفحش والبدع ومنطق السوء؛ فإنه إذا علق بسمعه عسر عليه مفارقتـــه في الكبر، وعز على وليه استنقاذه منه؛ فتغيير العوائـــد مـــن أصـــعب الأمور، يحتاج صاحبه إلى استجداد طبيعة ثانية، والخروج عن حكم الطبيعة عسر جدًا ... ويجنبه الكذب والخيانة أعظم مما يجنبه الســـم الناقع؛ فإنه متى سهل له سبيل الكذب والخيانة أفسد عليه ســـعادة الدنيا والآخرة وحرمه كل خير ... وكم من أشقى ولده وفلـــذة كبده في الدنيا والآخرة بإهمال وترك تأديبه وإعانته له على شهوته — ويزعم أنه يكرمه وقد أهانه وأنه يرحمه وقد ظلمـــه وحرمـــه — ففاته انتفاعه بولده وفوت عليه حظـــه في الـــدنيا والآخـــرة. وإذا اعتبرت الفساد في الأولاد رأيت عامته من قبل الآباء؛ فما أفســـد الأبناء مثل تفريط الآباء وإهمالهم واستسهالهم شرر النار بين الثياب؛ فأكثر الآباء يعتمدون مع أولادهم أعظم مما يعتمده العدو الشـــديد العداوة مع عدوه وهم لا يشعرون؛ فكم من والد حرم ولده خـــير الدنيا والآخرة، وعرضه لهلاك الدنيا والآخرة، وكل هذا عواقـــب تفريط الآباء في حقوق الله وإضاعتهم لها وإعراضهم عما أوجـــب الله عليهم من العلم النافع والعمل الصالح»[1] انتهى كلامه رحمه الله تعالى.

---

(١) تحفة المودود بأحكام المولود ص٢٠٠، ٢٠١ مع الاختصار.

وعليه فإن الجزاء من جنس العمل؛ فمن زرع خيرًا وجد خيرًا بإذن الله تعالى، ومن زرع شرًا، فلا يلومَنَّ إلا نفسه؛ ولذلك تجد كثيرًا من الآباء والأمهات يشكون من عقوق أبنائهم فإذا نظرت في واقع الأمر وجدت خللاً عظيمًا وسوءً كبيرًا في أمر تربيتهم، فلذلك لما أفسدوهم صغارًا لم ينتفعوا بهم كبارًا.

٣- علمه الصدق في كل أموره: ولو أدى ذلك إلى الإضرار به؛ فلا تكذب عليه، ولا تغشه ولا تخدعه ولو كنت مازحًا؛ فإنك إن فعلت فقد علمته الغش والكذب والخداع من حيث لا تشعر أنك أنت القدوة.

٤- احرص على بث الإيمانيات في أهل بيتك، وعلى أن يكون في بيتك حظ من ذكر الله تعالى، وحظ من قيام الليل، وحظ من النوافل؛ فعليك أن تجعل جزءًا كبيرًا من نوافلك في منزلك حتى يتعلم أولادك ويقتدوا بك؛ وهذه إحدى الحكم التي من أجلها قال النبي : «**عليكم بالصلاة في بيوتكم فإن خير صلاة المرء في بيته إلا الصلاة المكتوبة**»[1]، واحرص على تعليم أولادك الأذكار الشرعية وتلاوة القرآن حتى يحيا بيتك؛ فإن الأمر كما قال النبي ﷺ: «**مثل البيت الذي يذكر الله فيه والبيت الذي لا يذكر الله فيه مثل الحي والميت**»[2]، كما أن في ذكر الله وقراءة القرآن وإقام الصلاة طرد لعدونا اللدود الشيطان الرجيم أعاذنا الله وإياكم منه؛ فلا

(١) متفق عليه: البخاري (٦١١٣)، ومسلم (٧٨١).

(٢) متفق عليه: البخاري (٦٤٠٧)، ومسلم (٧٧٩) واللفظ له.

يكون له مكان في المنزل أبدًا بإذن الله عز وجل وحوله وقوته؛ فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «**لا تجعلوا بيوتكم مقابر إن الشيطان ينفر من البيت الذي تقرأ فيه سورة البقرة**»(١)، فاجعل في بيتك مثلاً حلقة للقرآن الكريم، وحلقة لقراءة وتعلم بعض السنن والأذكار، أو القراءة في كتاب لأحد علماء أهل السنة الأثبات وسلف هذه الأمة الصالحين؛ وهكذا يكون بيتك خلية دائبة في ذكر الله تعالى وإقام الصلاة.

٥- اربطهم بسيرة النبي ﷺ وصحبه الكرام: وبين لهم مواقفهم البطولية في سبيل نصرة هذا الدين والدعوة إليه؛ وذلك بأن تقرأ عليهم سيرة الرسول ﷺ وصحبه الكرام، وحببهم فيهم، وبغضهم في كل من ينتقص من الصحابة أو يتعرض لهم بالنقد أو الإساءة من المنافقين والعلمانيين والمرجفين في المدينة.

كما أنه عليك أن تعتني بأمر عقيدهم والاطمئنان عليها دائمًا؛ فإن هذا من هدي الأنبياء والمرسلين كما قال تعالى عن أبينا إبراهيم عليه السلام: ﴿ **وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ * أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ** ﴾ [البقرة: ١٣٢، ١٣٣]، فلا بد من ترسيخ قضية الإيمان بالله تعالى ومحبة دينه وشرعه، وبغض أعدائه،

---

(١) رواه مسلم (٧٨٠).

ولا بأس من قراءة أحد الكتب المختصرة في ذلك مثل: "التبيان" للشيخ سليمان العلوان حفظه الله تعالى، و"العقيدة الصحيحة وما يضادها" للشيخ ابن باز عليه رحمه الله تعالى.

٦- استشعار الدار الآخرة وحقيقة هذا الوجود: فكن آمرًا لأهلك بالصلاة واصطبر عليها، كما قال تعالى: ﴿**وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى**﴾ [طه: ١٣١، ١٣٢] ولا تكن مضيعًا لها ولا تسمح لأحد من أفراد أسرتك ممن وجبت عليهم الصلاة أن يضيعها؛ فلا تشغل زوجتك مثلاً بالطبخ والنفخ عن الصلاة حتى تخرج عن وقتها والعياذ بالله، فلا تقدم أي شيء على صلاة رب العالمين كما هو واقع البعض - عياذًا بالله - فتراه يقدم شأن الدراسة والمذاكرة والتحضير لها والحضور إليها في مواعيدها في الصباح الباكر، ولا يهتم لأمر الصلاة المفروضة - خاصة صلاة الفجر - فيعلم أبناءه أن الدراسة - والعياذ بالله - أهم من الصلاة المفروضة؛ حتى أصبحت الصلوات الخمس عند كثير من المسلمين اليوم أربع صلوات فقط، أما صلاة الفجر فالله المستعان - والمساجد خير شاهد على ذلك - مع أن النبي ﷺ قد قال: «**إن أثقل صلاة على المنافقين صلاة العشاء وصلاة الفجر، ولو يعلمون ما فيهما لأتوهما ولو حبوا**»[1].

اربطهم يا أخي دائمًا بالدار الآخرة أكثر من الدنيا، وعلمهم

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٦٥٧)، ومسلم (٦٥١) واللفظ له.

أنها فانية وأن الآخرة هي الباقية، وأن عبادة الله هي سبب وجودنا في هذه الأرض، وأننا سوف نرد إلى الله فيحاسبنا على الدقيق والجليل والحقير والقطمير؛ فإن أحسنا أدخلنا الجنة، وإن أسأنا فلا نلومن إلا أنفسنا.

٧- أَدِّ الأمانة المفروضة عليك: تذكر أن هذه هي أمانتك، وأن هذا جزء من وظيفتك؛ فلا تخنها واحرص كل الحرص على أن تؤدي أمانتك على الوجه الذي يرضي الله تعالى، ولا تكن سببًا في حرمان نفسك وولدك وأهل بيتك من دخول الجنة فيقال لهم أو لأحدهم ﴿ **خُذُوهُ فَغُلُّوهُ * ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ * ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ** ﴾ [الحاقة: ٣٠-٣٢]، قال ابن عباس: «فاسلكوه فالسلسلة بذراع الملك – أي: بطول ذراع الملك – والسلك أي: تدخل في دبره حتى تخرج من منخره حتى لا يقوم على رجليه»، عافانا الله تعالى وإياكم من ذلك، وروى أحمد في مسنده من حديث عبد الله بن عمرو قال: قال النبي ﷺ: «**لو أن رصاصة مثل هذه – وأشار إلى مثل جمجمة – أرسلت من السماء إلى الأرض وهي مسيرة خمسمائة سنة لبلغت الأرض قبل الليل، ولو أنها أرسلت من رأس السلسلة لسارت أربعين خريفًا الليل والنهار قبل أن تبلغ أصلها أو قعرها**»[1].

وهذا كله لماذا؟ لأن الحقائق قد زيفت له، فظن أن السعادة والنجاة هي في الأموال والمناصب؛ كما بين ذلك الله تعالى في قوله

(١) رواه أحمد ١٩٧/٢، والترمذي في صفة جهنم (٢٥٨٨) وقال حسن صحيح.

جل جلاله: ﴿مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيَهْ * هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ﴾ [الحاقة: ٢٨، ٢٩]، عندها سوف ينظر إليك يوم القيامة أيها المربي نظرة ملؤها الحسرة والندامة والاتهام بما فرطت فيهم من حق الله تعالى و لم ترعهم الرعاية التي تكون بها نجاتهم في مثل تلك المواقف الصعبة المهلكة — عياذاً بالله من الخيانة للأمانة — فاتق الله أيها المربي في هذه الذرية التي ولاك الله أمرها وحملك أمانتها وأمرك بحفظها.

٨- ترك الحجة الواهية؛ وهي أن يقول المربي — معتذرًا عن سبب تقصيره وتفريطه في أمانته تجاه أولاده وزوجته -: الله هو الهادي إلى سواء السبيل، وإن شاء الله هَدَاهم، أو يقول: إذا كبروا يعقلوا ويهتدوا، ويضرب لذلك مثلاً بنوح — عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام — أن ابنه وزوجته قد ماتا كافرين، وكذلك أبو الخليل إبراهيم، وأبو طالب عم النبي ﷺ وأبواه كذلك.

فنقول يا أخي بارك الله فيك: إن هذه حجج شيطانية جاهلية قد ألقاها الشيطان على لسان أهل الجاهلية؛ ليقفوا بها أمام الحق الذي جاءهم من عند الله عز وجل، وليبقوا على ما هم عليه من الضلال والعياذ بالله، وعليك أن تعلم وأن لا تغفل عن أن نوح عليه الصلاة والسلام قد استفرغ وسعه وجهده في دعوة قومه - وابنه وزوجته منهم - فدعاهم ألف سنة إلا خمسين عامًا، وبكل سبل الدعوة: ليلاً ونهارًا، سرًا وجهارًا فبذل جهده وفعل المطلوب منه - وهو بيان الحق والدعوة إليه والصبر والإقامة على ذلك - وهكذا فعل سائر الأنبياء والمرسلين عليهم صلوات ربي وسلامه أجمعين. أما

حصول التوفيق والهداية فإنما أمرها إلى الله تعالى وليس ذلك من اختصاص البشر؛ كما قال تعالى: ﴿**إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ**﴾ [القصص: ٥٦]، أما أن تترك الحبل على الغارب ولا تبذل الجهد ولا تفرغ الوسع في طلب الهداية والنجاة لهم ثم تحتج بمثل تلك الحجج الواهية فهذا من أعظم الظلم والإجرام في حق أهلك وذريتك، وكما قال الشاعر في وصف هذه الحالة من التخلي عن المسؤولية:

**ترجو النجاة ولم تسلك مسالكها**

**إن السفينة لا تجري على اليبس**

إذن فعليك العمل على أسباب الهداية والنجاة، وأما النتائج فليست من اختصاص البشر كائنًا من كان، بل هي إلى رب البشر جل في علاه يهدي من يشاء ويضل من يشاء وهو أعلم بالشاكرين ، ولكن عليك أنت أن تعمل على فكاك رقبتك يوم القيامة؛ يوم تُسأل عن هذه الذرية، وأذكرك مرة أخرى بقوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ**﴾ [التحريم: ٦]، وقوله ﷺ: «**ما من عبد يسترعيه الله رعية؛ يموت يوم يموت وهو غاش لرعيته إلا حرم الله عليه الجنة**»[1].

---

(١) سبق تخريجه ص٣٠.

**٩- إنه ليس من أهلك:**

إن بعض المربين - هدانا الله وإياهم - إذا ما انحرف أحد أهل بيته فأصبح محبًا للملاهي والمنكرات بادر بشراء تلك الأجهزة التي تعرض المحرمات والمنكرات من لاعبين، ولاعبات، وممثلين وممثلات، ومغنيين ومغنيات؛ وحجته في ذلك أن هذا الابن الفاسق إن لم يجد هذه الأشياء في بيته فسيجدها عند الجيران أو رفقائه الطالحين فيزداد بذلك انحرافه وضلاله، ونحن نقول لك أخي المربي: إن هذه حيلة شيطانة مريدة يهدف الشيطان من ورائها إلى إفساد الأسرة بأسرها عن طريق فتح الباب أمام هذه الأجهزة المدمرة التي تطرد الملائكة وترحب وتحتضن الشياطين. نعم عليك أيها المربي أن تعلم، أنك إذا بذلت ما في وسعك واجتهدت في جلب الهداية لأهل بيتك ثم انحرف أحد أفراد أسرتك فإياك إياك أن تعمد إلى السبل المحرمة لكي تبقى على هذا المنحرف في حياض بيتك، بل عليك أن تبحث عن وسائل أخرى للتأثير على هذا الولد لعل الله أن يهديه، مع إكثار الدعاء له بالهداية فإنه أقوى سبب بحول الله وقوته، وهذا هو هدي عباد الله الصالحين؛ كما قال تعالى: ﴿**رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا**﴾ [الفرقان: ٧٤]، أما أن تعمد إلى جلب ما يزيد من فجور هذا الولد، بل وتجعله بين يديه حيث لا يجد عناءً في تناول تلك المحرمات من المرئيات أو المسموعات؛ فهذا من أعظم الظلم لأهل بيتك ولولدك هذا؛ إذ كيف تفكر في شخص واحد من أفراد أسرتك قد ضل الطريق، ولا تفكر في باقي أفراد هذه الأسرة التي تسوق لها

الفساد من أجل سواد عيون هذا الابن الضال، بل إن العاقل يعلم أن الإنسان في بعض الأحيان يضطر إلى قطع جزء من بدنه؛ ليحيى باقي الجسد؛ إذ من الهلاك والبوار أن تبقى عضوًا فاسدًا في كل يوم يُفْسِدُ غيره، بل وتحرص عليه مع إهمالك لباقي جسدك المعافى، والله تعالى يقول في كتابه العزيز في خطابه لنوح عليه السلام: ﴿**وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ * قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ**﴾ [هود: ٤٥، ٤٦]؛ إذن، أهلك هم أهل طاعة الله عز وجل، وأما الآخرة فإنه ليس من أهلك؛ إنه عمل غير صالح، فلا تفسد أهل بيتك من أجل هذا العضو الفاسد.

ثم من قال لك: إن ابنك إن لم يجد هذه المحرمات في بيتك فإنه سيخرج إلى الآخرين؟ نعم، هذا احتمال وارد، ولكنه ليس بأكيد، فكيف تأتي بالفساد إلى الآخرين من أجل أمر مظنون فيه؟ مع أنه وإن حصل ذلك لم يجز لك أيها المربي أن تجلب المحرمات إلى بيتك مهما كانت التكاليف، ومهما كانت الظروف، أما إذا حصل ذلك وخرج ابنك هذا عن منزلك، فإنك لا تدري لعل هدايته تكون على يد غيرك من الناس بإذن الله عز وجل كما قال تعالى: ﴿**وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ**﴾ [الرعد: ٧]، فقد يلتقي به أحد الصالحين في مكان ما فينصحه بموعظة تخالط شغاف قلبه، فتكون سببًا لهدايته بإذن الله عز وجل، وسواء حصل هذا أو ذاك، المهم أن لا تقدم الفرد الفاسد على باقي أفراد أسرتك الصالحين، ولو حصل – لا

قدر الله – أن ضل جميع أفراد الأسرة و لم يبق إلا فرد واحد، فاحرص على هذا الفرد؛ لأنه من أهلك؛ أهل طاعة الله، وإياك أن تفسده بجلب المحرمات لإرضاء الآخرين.

**وأخيرًا**: اعلم أنه من الإجرام أن ترضي الناس بسخط الله تعالى، فجاهد نفسك في دفع هذه المنكرات وجلب الهداية إلى أهل بيتك وأنت موعود من الله بالنصر والتمكين، قال تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ**﴾ [العنكبوت: ٦٩].

**١٠- كن من المشفقين:**

إن الله تعالى قد أوضح في كتابه العزيز صفة من أعظم صفات أهل الجنة؛ يتحلون بها في هذه الحياة الدنيا مع أهلهم وذويهم؛ مما كان سببًا بإذن الله عز وجل في نجاتهم من عذاب الله وغضبه؛ ذلك أنهم كانوا في هذه الدنيا من المشفقين الحذرين الوجلين المراقبين لله المعظمين لشعائره وحرماته كما قال تعالى: ﴿**وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ * قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ * فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ * إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ**﴾ [الطور: ٢٥-٢٨]؛ فالرجل خائف على أهل بيته قائم عليهم بطاعة الرحمن مراقب لهم، فلا يسمح لهم أن ينتهكوا حرمات الله عز وجل أبدًا مهما كانت الظروف أو التكاليف، وكذلك الزوجة هي الأخرى مشفقة على زوجها وأبنائها؛ فهي لا تأمرهم بحرام ولا تقرهم على الحرام، بل حتى الأبناء هم كذلك

مشفقون على آبائهم؛ فالبيت عامر بالتناصح وحب الخير لبعضهم البعض؛ لذلك حق لمثل هذه الأسرة أن يكونوا من أهل رضوان الله وجنته، فهل يا أيها المربي – أبًا كنت أو أمًا – من يترك أبناءه ينامون عن الصلاة المفروضة بحجة أن الوقت بارد أو حار، أو أنه متعب، هل هذا مشفق على أولاده؟ بالطبع لا، ألا يعلم هذا المربي أن في جهنم الزمهرير الذي ما إن يصله أهل النار حتى تنكسر عظامهم من شدة برده؟ فأيهما أهون أيها المربي المشفق: برد الدنيا أم زمهرير جنهم؟ وأيهما أعظم: حر الدنيا أم حر جهنم التي يقول الله تعالى فيها: ﴿**قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا**﴾ [التوبة: ٨١]؟ أيهما أيسر وأرأف بالنفس؛ تعب يسير في الدنيا، أم تعب أبدي سرمدي لا ينقضي ولا يبيد؟ إن الصلاة هي عمود هذا الدين، ومن تركها فقد مرق من الإسلام بالكلية كما قال الصادق المصدوق ﷺ: «**العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر**»(١)، وقال: «**بين العبد وبين الكفر أو الشرك ترك الصلاة**»(٢)، فارحم أيها المربي نفسك وأهلك من هذه النار؛ فحرها شديد وقعرها بعيد، طعام أهلها الزقوم وشرابهم الصديد، قد انتهى حرها، أعدت فيها مطارق الحديد، وعليها الملائكة الغلاظ الشداد الذين لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون.

---

(١) أخرجه أحمد ٥/٣٤٦، والترمذي في الإيمان (٢٦٢١)، والنسائي في الصلاة (٤٦٣)، وسنده صحيح.

(٢) رواه مسلم من حديث جابر، وأحمد ٣/٣٧٠، النسائي في الصلاة (٤٦٤)، والترمذي في الإيمان (٢٦٢٠) وغيرهم.

ثم يا أخي المربي، مثلاً هذا الذي جلب آلات اللهو والمنكرات — من تلفاز ودش وأغانٍ ومحرمات أخرى من المجلات والقصص الخليعة أو الحالمة أو التافهة — هل حقًا كان على أهل بيته من المشفقين؟ كلا والله الذي لا إله غيره، وإن زعم ذلك، وهل هذا الذي أرسل أحد أهل بيته إلى بلاد الكفر والفجور والعهر والفسق للنزهة أو الدراسة هل كان من المشفقين؟ كيف يكون كذلك النبي ﷺ يقول: «**أنا بريء من كل امرئ مسلم يقيم بين أظهر المشركين**»(١)، والله تعالى يقول: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا * إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا * فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا**﴾ [النساء: ٩٧-٩٩]، فإذا كان هذا حال من أسلم من بين المشركين و لم يفارقهم وهو قادر على ذلك؛ أنَّ مأواه جهنم وساءت مصيرًا، فكيف بحال من يذهب إليهم مختارًا مريدًا محبًا لذلك ليستكثر من حطام هذه الفانية، أو ليأتي بشهادة لا تسمن ولا تغني عن المسلمين بشيء، بل ليتأكل بها في هذه الحياة الدنيا دون اعتبار للنهي الوارد في ذلك؟ فهل هذا المربي — الذي يعتقد أن حرمان ابنه من فرصة الذهاب إلى ديار الكفر للدراسة يكون ظلمًا له وإجحافًا في حقه — هل كان حقًا من المشفقين؟ وهذا الذي أرسل ابنته للجامعة أو المدارس المختلطة،

(١) رواه الترمذي في السير (١٦٠٤) واللفظ له، وأبو داود (٢٦٤٥)، وسنده حسن.

هل أشفق على ابنته؟ أم كان همه فقط أن تحصل على هذه الشهادة - بأي شكل كان - وهو يعتقد أن حرمانها من دخول الجامعة المفسدة فيه ظلم لها وتقصير في حقها، ألا يعلم أن الظلم كل الظلم والغش كل الغش وتضيع الأمانة هو في إدخالها أو دفعها إلى مثل هذه الأماكن الآسنة التي تعج بالاختلاط؟ بل ولربما كان همه ذلك الراتب الذي سوف تحصل عليه ابنته بعد تخرجها فيتأكل في دنياه الفانية بذهاب دين ابنته — والعياذ بالله — وهو في خضم هذا الموج الجارف من اتباع الهوى والشيطان يرتكب في سبيل ذلك الكثير من المحرمات؛ فيجعلها تسافر إلى بلاد عم فيها الشرك وطم، أو بلاد ظهر فيها من الفساد ما الله تعالى به عليم، بل ولربما أرسلها وحدها إلى هناك وبدون محرم بحجة أنه يثق فيها. والرسول ﷺ يقول: «**لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تسافر مسيرة يوم وليلة إلا مع ذي محرم عليها**»[١]، كما أن هناك من الآباء من يسمح لزوجته أن تخرج معه متبرجة بزينتها، أو مبدية لبعض زينتها وقد أظهرت قدميها وكفيها — وفيهما من الفتنة ما الله تعالى به عليم — مما يدفع الفجار إلى النظر إليها والتحرش بها والعياذ بالله من ذلك، والأعظم من ذلك أنك ترى بعض الأزواج يتعمد إبداء زينة زوجته متفاخرًا بفتنتها وزينتها كما كانت الجاهلية الأولى تفعل، مما يكون طريقًا إلى هتك الأعراض وفساد الأسر والعياذ بالله من ذلك، فتراه يأخذ زوجته وبناته إلى أماكن التجمعات من أسواق ونحوها وهن متبرجات فاتنات مفتونات. وهذا من الدياثة، والعياذ بالله من

(١) رواه البخاري (١٠٨٨)، ومسلم (١٣٣٩) واللفظ له.

الديوث؛ وهو الذي يرضى ويجلب الخنا إلى أهل بيته. وهذا الصنف متوعد بسخط الله عليه وعدم نظره إليه يوم القيامة – عياذًا بالله من سخط الجبار جل جلاله – كما قال النبي ﷺ: «**ثلاثة لا ينظر الله عز وجل إليهم يوم القيامة: العاق لوالديه، والمرأة المترجلة، والديوث** ...»[١]؛ ذلك لأن الله تعالى يغار كما قال ﷺ: «**إن الله يغار؛ وغيرة الله أن يأتي المؤمن ما حرم الله**»[٢].

والمربي مطالب بأن يسعى في ستر عورته وعورة أهل بيته والبعد عن كل ما يكون سببًا من قريب أو من بعيد في هتك الأعراض وإضاعة النسل والأولاد؛ كما كان النبي ﷺ يدعو في الصباح والمساء فيقول: «**اللهم إني أسألك العافية في الدنيا والآخرة، اللهم إني أسألك العفو والعافية في ديني ودنياي وأهلي ومالي، اللهم استر عوراتي وآمن روعاتي، واحفظني من بين يدي ومن خلفي، وعن يميني وعن شمالي، ومن فوقي، وأعوذ بعظمتك أن أغتال من تحتي**»[٣] والعجيب أنك ترى الأب من أهل الصلاة وأعمال الخير ولكنه مع ذلك يتساهل في هذا الباب العظيم خطره الكبير ضرره على الأسرة والمجتمع بأسره؛ وما ذلك إلا لأن الناس لا يعلمون عظيم خطر هذا الأمر وعظم جرم صاحبه – نسأل الله العافية والسلامة من ذلك – فهل مثل هذا المربي كان حقًا من

---

(١) أخرجه النسائي، كتاب الزكاة، ح (٢٥٦٢)، وسنده جيد وله شواهد.

(٢) رواه البخاري (٥٢٢٣) واللفظ له، ومسلم (٢٧٦١).

(٣) أخرجه أحمد في المسند (٢٥/٢)، وأبو داود (٥٠٧٤)، وصححه الحاكم والنووي.

المشفقين على أهل بيته؟ أو أنه كان من الذين اهتموا بدنيا أبنائهم و لم يهتموا بدينهم وبما سوف يلقونه ويتعرضون له من الفتن والبلايا والكفر والفجور؟ كلا والله الذي لا إله غيره إن هذا المربي وأمثاله هم من المفرطين المضيعين للأمانة التي سيسأله الله عنها يوم تبلى السرائر يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

**١١- إياك والمجاملات:**

إن بعض الآباء والأمهات هدانا الله وإياهم يكونون على استقامة وصلاحٍ ولكنهم يعرضون أنفسهم أو أبناءهم للفساد مجاملة للآخرين وحياءً من الإنكار عليهم؛ فترى الواحد منهم يدع أبناءه يزورون الجيران والأقارب مثلاً الذين قد علم يقينًا وجود أجهزة الفساد في بيوتهم، أو علم أنهم على منهج خاطئ في أسلوب حياتهم عياذًا بالله من ذلك، ومع ذلك يجاملهم ويدع أبناءه يذهبون إليهم، فيعرضهم للفساد والعياذ بالله.

والأولاد مثل الإسفنج يتشربون كل ما يجدونه؛ فلربما أشربت قلوبهم حب هذه الأجهزة المدمرة، أو حب هذه المنكرات والمحرمات من غناء ومسلسلات وأفلام كرتون وما شابه ذلك من الضلالات، ولعله بل غالبًا ما يتمنى الواحد منهم وجود مثل هذه الأجهزة في منزله لما يراه فيها من الزخرفة والبهرجة البراقة الداعية إلى الفساد والإفساد، بل ولعله أن يطلبها صراحة من والديه، وهذا كله بسبب هذه المجاملات المقيتة وهذا الحياء المذموم؛ فإن المجاملات إذا كانت على حساب الدين وصلاح الأبناء، فلا وألف لا، وليس

من الحياء المحمود في شيء تعريض الأولاد للفساد؛ فإن الحياء المحمود هو الذي يبعث على مكارم الأخلاق وطاعة الرحمن جل جلاله، كما أن البعض قد يذهب بأبنائه وأهله إلى أماكن لا تخلو من الفساد العريض الظاهر مما لا يمكن إغفاله ولا التغافل عنه؛ كالأعراس والولائم المختلطة أو المحتوية على الغناء والمعازف وظهور النساء كاسيات عاريات مع علمه الأكيد بوجود هذه المنكرات وغيرها هناك.

ولعل الشيطان يلقي علينا شبهة قد تروج على الكثير من المربين، بل ونسمعها بين الحين والآخر على ألسنة بعض الناس؛ وهي قولهم: أدعهم يذهبون إلى الأماكن المحتوية على الفساد والباطل وسأقوم بمراقبتهم ومتابعتهم عن كثب.

فنقول: هذه مقولة باطلة آثمة؛ ألم تسمع أخي بارك الله فيك إلى قوله تعالى وهو يقرر ما هو الواجب علينا في مثل هذه الأحوال: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا**﴾ [التحريم: ٦] الآية.

فما هو مبدأ الوقاية الذي دل عليه الشرع وشهدت له الفطر السليمة والعقول المستقيمة الصحيحة؟

أرأيت لو أنك علمت أن في البيت الفلاني أو المكان الفلاني مرضًا معديًا، أكنت ستترك أبناءك وأهلك يذهبون إلى ذلك المكان بحجة أنك ستراقبهم وتتابعهم عن كثب؟ لا شك أنك لن تفعل ذلك لعلمك أن الواجب عليك وقايتهم، وأن هذا ليس من الوقاية

في شيء؛ لأنك حريص على نجاهم ومبدأ الوقاية المتفق عليه يأمرك بإبعادهم عن هذا المكان فورًا وعدم الاقتراب منه أصلاً، فإذا كان هذا في جانب الأبدان فما ظنك بجانب الدين والإيمان؟ فأيهم أهم أرواحهم ودينهم أم أبدانهم وصحتهم؟

فالحذرَ الحذر من هذه الشبهة الشيطانية، وإياك والمجاملات على حساب الدين؛ فالحرص على إرضاء الله أولى من الحرص على إرضاء الناس مهما كانوا.

فإن قال قائل: فما الحيلة مع الأقارب الذين لا بد من زيارتهم مع وجود المنكرات في بيوتهم؟ فأقول: الواجب عليك مناصحتهم وتحذيرهم مما هم فيه، وبيان أمر الله جل وعلا في ذلك، فإن أبوا إلا المنكرات وكانوا ممن لا يمكن هجرانهم، فلا بد أن تتحقق بنفسك من عدم وجود هذه المنكرات وتشغيلها أثناء وجود أبنائك هناك؛ هذا أمر لا بد منه، مع تحذير الأبناء والزوجة من خطر هذه المنكرات والتركيز على هذه القضية بين حين وآخر، وسؤالهم كلما رجعوا من هناك: ماذا شاهدتم؟ وماذا سمعتم؟ حتى تطمئن على سلامتهم.

وبعض المربين يقوم بتحذير أولاده وأهله من المحرمات، ولكن لا يعلمهم الواجبات؛ فالواجب على المربين تجاه الأولاد والذرية ثلاثة أمور: أولها: تعليمهم الخير، وثانيها: تحذيرهم من الشر، وثالثها: إبعادهم عن مكان الشر.

## الخاتمة

**وختامًا**: أخي المربي – بارك الله فيك – لعلك الآن قد عرفت ما هي وكيف تكون المحبة الحقيقية للأبناء والذرية؛ إذن فعليك أن تعمل على ذلك إن كنت من الصادقين حتى تكون النجاة لك ولأفراد أسرتك، وبادر بالتوبة النصوح عما بدر منك من تفريط في حق أمانتك في أهل بيتك قبل أن لا تنفع توبة ولا ندم، واقرأ قول الله تعالى عن حال المفرطين: ﴿ **حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ * لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ * فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ * فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ * وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ * تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ * أَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَى عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ * قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ * رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ * قَالَ اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ * إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ * فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّى أَنْسَوْكُمْ ذِكْرِي وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ * إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ** ﴾ [المؤمنون: ٩٩-١١١].

أسأل الله العلي القدير أن يغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا، وأن يجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأن يبارك لنا

في أنفسنا وأهل بيتنا وفي أوقاتنا، وأن يعز دينه وكتابه وسنة نبيه وعباده الصالحين، وأن يرد ضال المسلمين إليه ردًا جميلاً، وأن يغفر لنا ولوالدينا، وأن يرحمهما كما ربيانا صغارًا، وأن يغفر للمسلمين والمسلمات الأحياء منهم والأموات، وأن يجعل الجنة مثوانا ومثواهم؛ إن الله على كل شيء قدير وبالإجابة جدير آمين.

وصلى الله على نبينا محمد ﷺ وعلى آله وصحابته أجمعين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

تم الفراغ منه في الرابع والعشرين من شهر جمادى الآخرة لعام ألف وأربعمائة وتسعة عشر للهجرة المباركة.

***

## الفهرس



***